دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب
ديوان (أنشودة المطر نموذجاً)

*عبدالباسط محمد الزيود، ظاهر محمد الزواهرة**

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب، متخذاً من ديوان "أنشودة المطر" نموذجاً ومجالاً لهذه الدراسة؛ لأنه الديوان الأكثر توظيفاً للألوان من بين دواوين الشاعر، وقد استجلى البحث عدة ألوان، وهي:
اللون الأسود
اللون الأحمر
اللون الأخضر
اللون الأبيض
اللون الأصفر
وهناك ألوان أخرى جاءت أقل توظيفاً في هذا الديوان.
وقد منح اللون النص الشعري طاقة فنية عالية، ارتفعت به من الدلالة اللونية العادية إلى دلالات لونية متعددة وخصبة، متحت من البنى النفسية، والفكرية، والثقافية لدى الشاعر، وأفضت إلى إغناء النص الشعري دلالياً وفنياً.

الكلمات الدالة: اللون، بدر شاكر السياب، انشودة المطر.

المقدمة

أهمية اللون في الشعر

يعد اللون عنصراً مهماً في تشكيل النص الشعري؛لأنه ينطوي على أبعاد جمالية تعطي النص قيمة فنية عالية، تتشابك فيه بعض الألوان مع الرمز، جراء التوظيف الدائم والمحمل بدلالات متنوعة، ويذهب –كذلك– عن النفس النفور والملل عند قراءة النص الأدبي فاللون "يمنح الحياة والوجود قيمة لا يمكن إغفالها، فهل نتخيل أنفسنا نرى لوناً واحداً؟ هل نشعر بلذة الجمال لو اختفت الألوان من الأرض، وأصبحت ترى بلا ألوان؟ عالماً مخيفاً يبدو لك كالصحراء الممتدة أطرافها بلا ماء أو شجر أو ظل أو نهاية؟ إن هذا التخيل يدفع النفس إلى النفور والملل، فلا حياة بلا لون"[1]

إن عملية الاختيار اللوني ذات أهمية بالغة في إثارة العاطفة وتهدئة النفس وتدل على مدى أهمية اللون ذاته، حينما تفضل لوناً على لون، وتوظف لوناً دون لون، إذ إن اللون "يوقظ الأحاسيس وينمي الشعور ويبهر النظر، وهو إما أن يكون مثيراً للعاطفة أو مهدئاً للنفس، ويظهر ذلك من خلال ما نفضل من ألوان، عندما نقوم بتزيين مسكن أو اختيار ملبس".[2]بل هو "قوة موحية جذابة تؤثر في جهازنا العصبي".[3]

وأمام الألوان يصبح الانتقاء والاختيار تقنية لدى الشاعر، لا تعود إلى الاعتباط أو المصادفة، فحين نختار اللون الأسود فلدلالات وإحياء وقصد لأن "الألوان المرئية في الطيف الشمسي هي ستة ألوان مميزة، إلا أن العين البشرية قادرة على تمييز ما لا يقل عن سبعة ملايين من الألوان".[4]

إن أهمية اللون قديمة قدم الإنسان في اختياره للألوان، وحبه لبعضها ونفوره من بعضها الآخر، وانعكاس هذه الأهمية على القصيدة جعل للألوان دوراً مهماً في بنائها وانسجامها خاصة القصيدة الحديثة إذ "تشهد القصيدة الحديثة احتفالاً بجماليات اللون في كل اتجاه وعبر كل المستويات"[5]؛ بل لقد أصبح اللون في القصيدة الحديثة "لغة رمزية ولم يقف عند حدود الدلالات البسيطة بل تجاوزها إلى لغة الإشارة اللونية وقد قصد اللون فيها، ووظف على نحو جعل ازدحاماً وكثرة حتى في القصيدة الواحدة وإلى التوسع في توظيف اللون وقلبه"[6]. ويحمل اللون دلالات وجماليات متعددة يكتسبها من السياق

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن.
تاريخ استلام البحث 2014/2/27، وتاريخ قبوله 2014/4/28.

©2014 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الذي توظف فيه فمنها دلالات فكرية سياسية وثالثة دينية وأخرى.

دلالات اللون الأسود

جاء اللون الأسود في ديوان السياب (أنشودة المطر) من حيث وروده في المرتبة الأولى، فقد تكرر توظيفه في خمس وثلاثين مرة، وهذه المساحة الواسعة التي احتلّها الأسود في شعر السياب يمكن أن ترد إلى عدة عوامل، وربما يكون في أولها ما عاناه السياب في بلده من مشاق وتعب وتضييق، ثم رحلة الغربة الطويلة سواء في الكويت أو في ترحاله إلى أوروبا ولندن على وجه الخصوص، إذ لم تعد للآمال في قاموسه مفردات يمكن التشبث بها أمام غربة أدمت قوافيه وأسطره الشعرية، ولم تعد أجمل الأشياء جميلة في الغربة بما فيها الحبيبة والشمس و...إلخ، وكل هذه تكتسب جمالها وروعتها في المكان/ الوطن / العراق.

ولا تقتصر معاناة السياب على البعد النفسي الشخصي بل تعدته إلى البعد القومي، فهو على مقربة من المأساة الفلسطينية زمنياً ومكانياً؛ مما أثر فيه شعرياً فاتسمت قصيدته بالسواد، وألوان المعاناة التي تركت سمات لا يغفل عنها أي قارئ لديوانه،إضافة إلى الهزائم والنكسات التي عاشها الإنسان العربي، فكان الموت يخيم ويسيطر، بل سيطرت حالة الحداد على الإنسان العربي طويلاً، فتأثر الشعراء بهذه الحالة وانعكس ذلك على مشاعرهم وتفكيرهم، وانتقل إلى قصائدهم والسياب من أهمهم.

يرتبط اللون الأسود بالموت والحزن والحداد غالباً، ومن صوره الخوف من المجهول وراء الظلام، فالموت ظلام، والحزن والحداد كذلك، واللون يستمد دلالته من السياق الذي يوظف فيه لأن "السياق وحده هو الذي يحدد وظيفة اللون وفاعليته".[7]

يقول السياب في قصيدة (أغنية في شهر آب):

تموز يموت على الأفُقِ
وتغور دماه على الشفقِ
في الكهف المعتم، والظلماء
نقالة إسعاف سوداءْ
وكأن الليل قطيع نساءْ
كحلٌ وعباراتٌ سودُ
الليل خباءْ
الليل نهار مسدود.[8]

فالسياق الذي جاء فيه اللون الأسود دال على حالة التيهالتي تمثل بدورها حالة الموات التي تكتنف الشاعر، بل المدينة بأكملها، ولذا جاء تأثير اللون الأسود واضحاً، ومهيمناً على مفردات المقطع الشعري، وذلك بتوظيف المفردات الدالة على السواد وهي ما يمكن أن نسميه المرادفات اللونية: (تغور، الكهف، المعتم، الظلماء، الليل، كحل، عباءات)، وهي مفردات توحي بالسواد، وتشير إلى صورة معبرة عن الموت والاندثار؛ لذا لم يستطع السياب أن يتخلص من سيطرة اللون الأسود، الدال هنا على الموت والحداد بلفظين صريحين (سوداء- سود)، ومفردات أخرى حملت دلالة اللون الأسود كالظلماء والكحل والليل، وقد جاء التركيبان التاليان منسجمينِ مع حالة الموات وهما: (تموز يموت) و(تغور دماه)، ولذا ارتبط السواد هنا بالموت أيضاً "نقالة إسعاف سوداء"، لا أمل بالحياة منها، وهذا الارتباط بالموت من خلال اللون يحيل على الحزن، إذ إن "طبيعته متصلة نفسيا بأجواء الكآبة والحزن"[9]. يبين السياب حالة الموت وما آلت إليه من حزن تمثل بالعباءات السود التي ترتديها المرأة بوصفه، أي لبس السواد، تقليداً شائعاً يدل على الحداد والحزن، فالرجال ماتوا، وبقيت النساء في حالة حزن وحداد.

ويربط السياب بين العيون واللون الأسود (العيون السود)، وهذا الربط منح العيون صفة جمالية، وإذا كانت العيون موطن الجمال والاستشراف والتأمل، فإنّ العيون السود أكثر جمالاً وربما هذا ما جعل الكثير من الشعراء يتغنون بها، وكأنّ هذه الصفة التي لازمت العيون أصبحت رمزا؛ لأن "اللون يصبح رمزاً إذا صار تعبيراً يوحي بمعنى أو معانٍ متفق عليها، في ذاكرة المجتمعات الشعرية لغة وثقافة وديناً وتراثاً"[10]. يقول السياب في قصيدة (حقائق كالخيال):

ماذا تريد العيون السود من رجل
قد حاش زهر الخطايا حين لاقاها
ماذا تريد العيون السود؟ إن لها
ما لستُ أنساه منها حين أنساها[11]

فهذه العيون الجميلة لها تأثير ليس لغيرها، ولا يستطيع الشاعر أن ينساه، ولو نسي شكلها، وهذا التعبير "العيون السود" اتخذ صفة جمالية في هذين البيتين لدى السياب، بل جعل لها قوة التأثير والفاعلية.

حملت هذه العيون قوة تأثيرية عالية في الشاعر تملكت عليه حواسه، وأصبح أسيراً لها، لما لها من قدرة جمالية، جعلته يواجهها بسؤال استنكاري، يوحي بعدم قدرته على مواجهة قوتها وتأثيرها، التي تبلغ حدّ تخليصه من هذا الدمار والخطايا.

وجاء الاستفهام ليزيد جمالها قوة وقدرة على إثارة، وإن كان السياق الذي ورد في البيتين على لسان مريض في هيروشيما يصور جانباً مما حدث في المدينة حين دمرتها القنبلة[12]،

لكنها حتى في هذه الحالة التي تحمل الوجع فإن للعيون السود تأثيرها الخاص والمخلص من الخطايا والدمار، بل هي التي تمنح الشاعر الأمل بالحياة.

وتارة يخرج هذا الوصف للعيون من صفته الجمالية إلى رمز آخر يحمل النقيض تماما، فهو رمز للمجهول والغائب المخيف الذي يصل حد العار. وهذا التوظيف جعل اللون الأسود "رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتم".[13] يقول السياب من قصيدة (رسالة من مقبرة):

النور في قبري دجىً دون نور
النور في شُباك داري زجاج،
كم حدّقتْ بي خلفه من عيونْ
سوداءَ كالعار
يجرحن بالأهداب أسراري
فاليوم داري لم تعدْ داري
والنور في شبّاك داري ظنونْ.[14]

ما زال السياب يقع تحت تأثير سيطرة لونية واضحة، وإن تكلم عن النور رمز الضياء، وإذا نظرنا إلى المقطع الشعري نجد الألفاظ دالة على سيطرة اللون الأسود بمرادفاته: (قبري/ الظلام والمجهول، دجى، دون نور، عيون سوداء، كالعار) وأمام هذه المفردات التي تحمل لون السواد لم يعد للنور قيمة، بل أصبح النور في غور واختفاء، (دون نور)، فسيطرة اللون الأسود هنا أخفت النور رمز الضياء.

إنّ سلب الصفة الجمالية للعيون السود جعلها تأخذ دلالة أخرى وهي الحقد والكره، فكلمة العار تشعل الكراهية و" اتصالها بلون يحمل معنى الظلام والانطماس والخفاء يزيدها بعداً قبيحاً إلى حد بعيد".[15]

والسياب في هذا المقطع الذي يحيل على المجهول (أسراري، وقبري، وداري لم تعد داري) إنّما يعبر عن حالة الاغتراب التي يعيشها من جهة،ويميل بالمقطع إلى أسطورة أورفيوس وأجوائها من جهة أخرى؛ كون أجوائها تكتسي بالخيبة والخسران، فعندما نزل أورفيوس إلى العالم السفلي ليخرج يوربيدس لم يستطع أن يخرجها؛ لذا فهو يشعر بعينيها السوداوين تلاحقانِه بالعار، فهو أملها الوحيد بالخروج نحو العالم العلوي، ولكنه خيّب مسعاها؛ ومن هنا اتشح عالمه بالسواد دلالة على الحزن والخزي والندم "، منسجماً في هذا مع عرف لدى القدماء رمزوا بالأسودوكل الألوان القاتمة إلى الموت والشر".[16]

ومثل هذه السيطرة اللونية للون الأسود نجدها ماثلة واضحة في قصيدة أخرى للسياب وهي قصيدة (بور سعيد):

سودٌ، كما اسودّت الأموات، أنهاري
فالطين فيها فم يمتصُّ أسفاري،
والريحُ في داري
سوداءُ مارفّ منها باللّظى عَصَبُ
لا تسألي بعدُ عنها: إنها عشُب
أعواده السود غذّى عجلهُ الذهبُ
منها، فخبّأتُ في عينيّ قيثاري[17].

كل شيء يغدو أسود، ولكثرة الأموات يصبح السواد في كل شيء (سود أنهاري، اسودت الأموات، الريح سوداء، عشب أعواده سود)، وهي حالة الحداد المرتبطة بالحزن والقهر، وأمام الموت والدمار الذي لحق ببور سعيد، وحالة الحزن التي سيطرت على الشاعر، أسقط الشاعر آلامه وأحزانه ومشاعره على ألفاظه وعباراته، ولم يعد للغناء والفرح أي مكان مخبأ في عينيه / قيثارته، ويحاول السياب الانتفاض على الحالة القائمة على السواد في القصيدة نفسهافيمزق السواد، في محاولة منه لاستعادة الأمل بعودة الشمس والضياء؛ فيقول:

بالثارِ
مزقتُ عنها سودَ أستارِ
فانهلت الشمسُ على داري(18) .

ويعكس ذلك – أي عندما لا يكون السياب واقعا تحت سيطرة اللون الأسود– ثورته على الحال القائمة ورغبتهبالانتفاض، ويصبح الخلاص من اللون الأسود رمزاًللتحرروالغلبة والأمل: "مزقت عنها سود استارِ" فقد وقع السواد تحت تأثير الفعل (مزق) وهو فعل دال على الشّدة من جهة والإصرار من جهة أخرى، بمعنى أن تمزيقه يعكس إرادة حقيقية واعية. فتأثير السواد خارجي بادٍ للعيان وداخلي يدركه من يعانيه من ألم وفقدان قدرة على المواجهة، ومثل هذا التوظيف نجده في قصيدة (رؤيا في عام 1956م) إذ يقول:

حطّت الرؤيا على عينيّ صقرا من لهيبْ
إنها تنقضُّ، تجتثُّ السواد
تقطع الأعصاب تمتص القذى من كل
جفن، فالمغيبْ
عاد منها توأما للصبحِ أنهار المداد[19].

يحيلالسياب اللون الأسود إلىاندثار، بفعل قوة الرؤيا،وإذا كان الشاعر قد مزّق السواد في النص السابق، بمعنى أن فعل الشاعر جاء ردة فعل على ما قام به السواد من إشاعة لجو الحزن والألم، فإن الرؤيا هنا مثّلت طيراً قوياً معروفاً بسطوته وفعله، فهي من استطاع تخليص الشاعر من سيطرة السواد ومصاحباته (القذى، المغيب) لتتحول الحالة مع هذه الرؤيا

نحو الصباح / النهار، وهذا يعني أن الرؤيا حملت قدرة تغييرية انتقلتب الشاعر من السواد/ الظلام نحو الصباح/ النهار.

ويرتبط اللون الأسود في بعض قصائد السياب بالزمان مرة وبالمكان مرة أخرى، وهذا الارتباط اللوني بالزمان أو المكان يخرج إلى دلالة جديدة للون، فحين يربط السياب بين اللون الأسود والزمن فهو يعبر عن حالة تشاؤمية تجاه الحياة، ويصبح العالم غابة مخيفة، يقول السياب في قصيدة (مدينة بلا مطر):

أنافذتان من ملكوت ذاك العالم الأسود:
هنالكَ حيث يحمل، كلّ عام، جُرحه الناريّ،
جُرح العالم الدّوار، فاديهِ[20].

يصف العالم بالأسود، و"سيطرة اللون الأسود تدل على عمق الألم والحزن والظلام، وتعطي مؤشرا أوليا على طبيعة إدراك الشاعر لعالمه"[21]، وهو واقع تحت تأثير هذا العالم الذي يحمل الجرح له كل عام/ الزمن، ويحمل الجرح دلالة على الضياع والهزيمة، ولذا فإن مثل هذا الوصف للعالم يوحي بالإحباط والشر والموت.

ويربط السياب اللون الأسود بالمكان، إذ يصف المكان بأنه أسود، وهذا دال على عمق الضياع والتيه، يقول السياب في قصيدة (بور سعيد):

ليل نُعيذُ الكهوفُوالسودُ آنيةً
فيها وفكّاً لموتاها وصوّانا [22]

الكهف (المكان) مظلم، ومجهول، ومخيف، وهذه الصفات منفرة إلى حد ما، وعندما يصف السياب الكهوف بالسود (اللون)، فهذا يعني تكريس هذه الحالة من الظلامية والخوف، ولذا أراد السياب أن تكون هذه الكهوف السود بما تحمل من دلالات الخوف والتيه وما اكتسبته من صفتها اللونية (السود) مكاناً للفتك بالأعداء وقتلهم، فهو يريد أن تكون ميتة الأعداء قاسية جداً، وفي المكان الذي جاءوا إليه مستعمرين. ويأتي توظيف اللون الأسود وصفا للغيم عند السياب، وهنا يحمل اللون دلالة مغايرة للغيم، بل متناقضة، فإذا كانت الغيوم مصدر الغيث وسبب البعث والنمو والخصب/ الخير، تصبح هذه الغيوم بعد ربطها باللون الأسود رمز الخواء والجوع والهموم / الشر، يقول السياب في قصيدة (مدينة السندباد):

وكان منتهاكَ مثل مبتداكْ
يلفّه النجيع.
وأقبل الصيف علينا أسودَ الغيومْ
نهاره هموم،
وليله نسهر فيه نحسب النجوم [23] .

يخاطب السياب الربيع "يا أيها الربيع" في بداية المقطع الشعري أملاً بغد أفضل وحياة جديدةلكنه لا يجد فيه مكاناً للأمل والاستبشار، إذ يصبح الربيع رمز الخير والخضرة والخصب بلا قيمة، (منتهاك، مبتداك) سيان لا فرق بينها، وحين يقدم المنتهى (منتهاك) على المبتدأ (مبتداك)، فإنه يعبر عن مدى الإحباط والتشاؤم الذي يعيشه، ولذلك لن يكون في الصيف جديد، بل سيأتي أسود الغيوم، وإذا كانت الغيوم دالة على الخير، فإن اللون الأسود نزع دلالة الخير عنها وجعلها دالة على السموم/ الشر، وإذا قرأنا المقطع الشعري نجده يقع تحت تأثيرهذا اللون فـ (النهار هموم، والليل سهر)، وتنطوي هذه الصور إذا ما قرنت مع(نحسب النجوم) على تهميش القيمة الإنسانية، إذ يصبح الإنسان مجرد حاسب لهذه النجوم بلا قيمة تذكر للإنسان، لا أكثر دلالة على عدم الفعل. وفي موضع آخر في قصيدة (المومس العمياء)، نجد دلالة قريبة من هذا، إذ يقول السياب:

لكن بائسة سواها حدثتها منذ حين
عن بيتها وعنِابِنَتَيْهَا، وهي تشهق بالبكاء،
عن زوجها الشرطيّ يحمله الغروب إلى البغايا
كالغيمة السوداء تنذر بالمجاعة والرزايا [24].

يكرس هذا المقطع السواد في الغيوم، الذي يحمل دلالات عديدة:

أولاها: شيوع البؤس وانتشاره، فمفردة (بائسة) جاءت نكرة فيها دلالة على العمومية وبالتالي فإن هذا يعني أن البؤس عام وليس خاصاً بهذه المرأة، بدلالة (سواها) أيضاً، وهو ما يكرس حالة البؤس، وإذا ما قرأت هذه الصورة مع هذا التركيب(وهي تشهق بالبكاء) فإن الحالة تصعد إلى نوع من الإشهار لحالة البؤس التي عمت المكان بعد الإنسان.

ثانيتها: فقدان الأمل بالأمن والحماية اللذين يمثلهما "الشرطي"، فهو بدلاً من أن يعزز الإحساس بالأمن عند الناس وتمثيل القانون نجده يجنح إلى البغايا/ الحرام، وفي هذا انحراف عن القيم والأخلاق التي يمثلها هذا "الشرطي".

وأخراها: بعد هذين المشهدين/ الصورتين يأتي السواد ليسم المشهد الكلي للصورة عبر تصوير الغيمة بالسواد منذرة بالمجاعة والرزايا، فبدلاً من أن تحمل الغيمة بشائر الخير والولادة الجديدة والخصب انقلبت لتحمل دلالة الجوع / المجاعة / الخطايا.

دلالات اللون الأحمر

جاء اللون الأحمر من حيث السياقات التي وظف فيها اللون بالمرتبة الثانية في ديوانه (أنشودة المطر)، إذ ورد هذا

اللون في تسع وعشرين مرة، وقد اتخذ اللون فيها دلالات استقاها من السياق الذي ورد فيه، على أن الدلالة الأكثر توظيفا لهذا اللون هي الرمز إلى الدم والحرب والقتل، إذ "ارتبط اللون الأحمر منذ القدم بدلالة غلبت عليه وهي الإيماء إلى لون الدم، وما يعني من الصراع والقتل والموت، والثورة والحرب".[25] وقد أكثر السياب من توظيف اللون الأحمر دالاً به على الدم والصراع والقتل، يقول السياب في قصيدة (رؤيا في عام 1956م):

شدّوا على كل ساق
أواه، ما شدّوا؟
أوّاه، ما سمّروا؟
أغصان زيتوننا أثقلها الوردُ
ورد الدم، الأحمر[26].

والشاعر في سياق استنهاضه للهمم والثورة في ظل عدوان ثلاثي على مصر 1956م يتأرجح بين الأمل والانكسار (شدّوا، ما شدّوا) ويتحسر (أوّاه) على واقع لم يكن كما أراد، ولذلك جعل هذه الأفعال بلا تأثير:(شدّوا، ماشدّوا، ما سمّروا)، إذ إنّ النفي قد ألغى تأثيرها، وقد جاء توظيف اللون الأحمر ليؤكد هذا المعنى، فالأغصان (أغصان زيتوننا) رمز الخير والخصب والبناء أثقلها الموت والدم، بما يدل على كثرة الموت، و لم يكتف الشاعر بالمرادف اللوني (الدم) والدال على الحمرة إنما وظف اللون الأحمر (الدم/ الأحمر) ليكرس حالة الدموية والقتل أيضاً.

جعل السياب اللون الأحمر رمزاً للثورة والانبعاث من جديد، إذ يرى أن الموت يمثل سبيلاً للتحرر والثورة وهو حياة وبناء للجيل الآتي، لذا فالدم (الأحمر) وسيلة "للتخلص من الذل، وهوسبيل الانتصار والكرامة المنشودة"[27]، وهذا ما نجده في خطابه لـ (بور سعيد/ القلعة)، في قصيدة (بور سعيد):

يا قلعة النور تَدْمَي كلُّ نافذةٍ
فيها، وتلظى، ولا تستسلم الحجر
أحسسْتُ بالذُّل أن يلقاك دونَ دمي
شعري وأني بما ضحّيتِ أنتصرُ
لكنها باقةٌ أسعى إليكِ بها
حمراءُ يخضلُّ فيها من دَمِي زهرُ![28]

تغدو عبارات السياب هنا منتقاة بعناية للتوافق مع توظيفه للون الأحمر الدال على التضحية والثأر.[29] ويخرج اللون الأحمر عند السياب إلى دلالة رمزية سياسية، إذ وظف السياب اللون الأحمر ليدل على الحركة الشيوعية، فقد "برز اللون الأحمر على الصعيد السياسي في القرن العشرين، وذلك حين اتخذت الحركة الشيوعية العالمية الراية الحمراء لتكون شعاراً لها وتغدو رمزاً لثورتها الدموية المنشودة[30]، يقول السياب في قصيدة (رؤيا في عام 1956م):

تمثالك الآلاف، مجنونة
من رُعبها، تمثالك الأحمرْ
كأنه الشقيق إذ يزهر[31].

يريدها السياب ثورة شيوعية ترعب وتصبح زهرة مفجرة للبعث والحياة، وقد جاء توظيفه للون الأحمر (تمثالك الأحمر)، منسجماً مع الأمل المنشود بأن تصبح الثورة تمثالاً أحمر/ قدوة وقوة، ليضيف اللون الأحمر سمة القوة والتضحية للصورة، وجاء الشاعر بمرادف لوني هو الشقيق – وهو نور أحمر وزهور ربيعية، ذات لون أحمر جميل[32]، ليرتبط بالفعل الدال على الحياة والأمل (يزهر)، وهو ما يتوافق مع الثورة التي يريدها عزة وكرامة.

وجاء اللون الأحمر دالا على الدم، وهذا التوظيف للون الأحمر جاء منسجماً مع طبيعة الحياة التي عاشها الإنسان العربي المليئة بالصراع مع الأعداء، وكثرة الحروب الدموية التي خاضها، يقول السياب في قصيدة (مدينة السندباد):

أهذه مدينتي؟ جريحةُ القباب
فيها يهودا أحمر الثيابْ
يسلّط الكلاب
على مهود إخوتي الصغار... والبيوت،
تأكل من لحومهم، وفي القرى تموت.[33]

لقد ارتبط اللون الأحمر بالدماء في هذا المقطع الشعري من جهة وبالخيانة من جهة أخرى، إذ إنّ السياب يصور مدينته وقد تنازعها الأعداء، وتركوها جريحة، و"وظف اللون الأحمر (أحمر الثياب) ومرادفه اللوني (جريح) ليدل على أن هذه المدينة غطّت بالدماء"[34]، ولم يكتف السياب في توظيف اللون (الأحمر) بل وظف مرادفاً لونياً آخر (جريحة/ الدم) والدال على اللون الأحمر زيادة في توكيد الصورة المنفرة من الغدر والخيانة، إذ بسببها كانت الدماء، وهو يحيل إلى يهوذا رمز الخيانة وقد سلم يسوع لليهود[35]، ولذلك ألبسه السياب ثوبا أحمر/ ملطخا بالدماء، لأنه كان سبباً في كل ما حدث للمدينة ومن فيها.

وفي قصيدة أنشودة المطر يوظف السياب اللون الأحمر دالاً به على الدم، ليكون رمز التخلص من الاستعباد والمهانة إذ يقول:

في كلّ قطرة من المطرْ
حمراء أو صفراء من أجنة الزّهرْ
وكلُّ دمعة من الجياع والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسام في انتظار مبسمٍ جديد[36].

لقد تكرر هذا المقطع مرتين في هذه القصيدة، ليكون الأساس في الحياة الكريمة التي تأتي نتيجة التضحيات و التعب والجهد والعمل/ قطرة صفراء، القائمة على التحرر وبذل الدماء، قطرة حمراء/ فاللون الأحمر/ الدم سبيل خلال منشود وإذا كانت قطرات المطر الحمراء أو الصفراء أو الدموع دالة على التعب والتضحيات فإنها في نهاية المطاف ذات دلالة إيجابية مطلوبة للعيش بكرامة وعزة، لذلك (فهي ابتسام)، والابتسام بداية الانطلاق والفرح. وقد وظف السياب اللون الأحمرفجعله صفة للراية، وإذا كانت الرايات حمراء فهذا يعني أنها تدل على شدة القتال، ورمزية التضحية وعظمها يقول السياب في قصيدة (الأسلحة والأطفال):

وما افترّ في البيرق الأحمر،
على صبيةٍ في قراها البعاد،
وفي ظل تفاحها المزهر
وما جرّرت في ليالي الحصاد
ثيابُ العذارى على البيدر[37].

إن ارتباط اللون الأحمر بالبيرق وهو الراية أو العلم دال على قمة التوظيف اللوني لأنها رمز اعتادت عليه الأمم، ليحمل دلالة مباشرة على هوية ما، وإذا ما صبغت هذه الراية باللون الأحمر فإن هذا يدل على عظم التضحيات التي تؤول في النتيجة إلى الخير والانتصار وهو ما دلت عليه ألفاظ المقطع الشعري، (تفاحها المزهر/ على البيدر) إذ يكون المزهر علامة الفرح والابتعاث في نهاية الأمر (البيدر).

دلالات اللون الأخضر

كثر ورود اللون الأخضر في شعر السياب في ديوانه أنشودة المطر، وشغل مساحة واسعة، وتكرر هذا اللون عشرين مرة، ومرجع ذلك إلى أمرين:

أولهما: الطبيعة الخضراء التي تمثلها غابات النخيل الممتدة في بلد السياب في البصرة.

الآخر: ارتباط اللون الأخضر بالأمل، إذ إنّ أهمية اللون الأخضر "تبرز من خلال ارتباطه غالبا بالأمل والتفاؤل والعطاء والجمال والبهجة[38].

يأتي اللون الأخضر في شعر السياب في كثير من القصائد الشعرية دالاً على الأمل والاستبشار، وكأن السياب أراد المراوحة بين الموت والحياة فيتوظيف اللونين الأسود والأخضر، فإذا كان توظيف اللون الأسود قد سيطر على الألوان ليدل بمجمله على الحياة القاسية والأزمات والموت، فقد جاء اللون الأخضر عند السياب فى مواجهة لونين معا هما: الأسود والأحمر بما يحملانه من دلالة على الموت والتضحيات، عندها يصبح اللون الأخضر هو النتيجة المرجوة في حياة جديدة، ففى قصيدة (مدينة بلا مطر) يقول السياب:

صحا من نومه الطينيِّ تحت عرائش العنب...
صحا تموزُ، عاد لبابلَ الخضراء يرعاها[39].

يتضح أن اللون الأخضر جاء ليدل على البعث والحياة، وقد ارتبط برمز الخصب (تموز)[40] والتركيز واضح على هذه الدلالة (الحياة والبعث) من خلال توظيف السياب لأفعال يقصدها (صحا، عاد، يرعى)، وهى أفعال دالة على النهوض والعودة/ الحياة والاستمرار، وكأن السياب يرسم صورة لبابل ويلونها بلون الحياة والأمل، وهذا التوظيف نجده فى غير قصيدة للسياب، يقول السياب في قصيدة (جيكور والمدينة):

وجيكور خضراء
مسّ الأصيل
ذرى النخل فيها
بشمس حزينة[41].

ظهرت صورة جيكور موطن ميلاد الشاعر هنا خضراء لتدل على الحياة والجمال، إن مرت الشمس الحزينة فوق ذراها فهي تحمل الحب والخير والأمل، والخير فيها والشموخ مستمدان من شجر النخيل/ الأخضر، إنها حياة رغم الحزن، وهذا التعبير (جيكور خضراء) تكررفي هذه القصيدة ليكرس دلالة الاستبشار والأمل بغد مشرق، رغم وجود الحزن، وتبقى جيكور في ذاكرة الشاعر حياة لا تتوقف وتبعث على الخصب والنماء والخير، ففي قصيدة (العودة لجيكور) يوظف السياب اللون الأخضر دالا على الخير إذ يقول:

هذا صياحُ الديك: ذاب الرقاد
وعدتُ من معراجيَ الأكبر:
الشمسُ أمَّ السنبلِ الأخضرْ
خلف المباني، رغيفْ
لكنها في الرصيف
أغلى من الجوهر[42].

يدل السنبل الأخضر على الخير والنماء، ولذا فإن الشاعر يربط الخير والنماء بجيكور من خلال العودة إليها، وقد وقعت الأفعال (ذاب/ عدتُ) تحت تأثير هذا اللون فقد ذهب النوم ليأتي العودُ إلى النهوض/ المعراج، وبكل هذا الخير وذاك

الاستبشار تبزغ الشمس/ التي تحتضن الخير/ السنبل الأخضر، وما التغني بالأعشاب الخضراء/ السنبل إلا صورة لـ" البعث والنهضة والتجديد[43]، وهو توظيف ينسجم مع الآمال التي يريدها ممثلة بحياة جميلة خيرية.

لقد تعلق السياب بجيكور كثيراً فهي الموطن الأول، وجعلها خضراء دائما وكأنها الرمز للحياة والخير، وعندما يكون في تعب وبعد يلجأ لذكرياته في جيكور/ الماضي؛ كونها تشكّل ملاذاً آمناً في مواجهة ما يكابد ويعانيه من الحاضر، لذا فهي خضراء تحمل الأمل بدلاً من الألم، والأمر نفسه ينطبق على الزمن فقد تحول إلى دلالة الخضرة هو أيضا، ففي قصيدة (مرثية جيكور) يقول:

ويلَ جيكور؟ أين أيامها الخضرُ وليلات صيفها المفقود؟[44]

فاللون الأخضر الجيكوري أصبح رمزاً لدى السياب في الحديث عن موطنه الأول، فهي رمز الحياة والبعث، ولذا فهي المطلب والمرتجى (أين أيامها الخضر) بكل ما تمثله من حياة. هذا وقد وظف السياب اللون الأخضر في مثل هذا السياق في كثير من القصائد، وأصبح السمة الملازمة للمياه والأرض والرياح[45]. وجاء اللون الأخضر بدلالة دينية أيضاً عند السياب، فللون الأخضر "هالة محببة في نفوس المسلمين، تكونت حوله على مر العصور، وهو في الوقت نفسه رمز للجنة التي وصفت بهذا اللون في القرآن الكريم، ووعد الله عباده المتقين"[46].

يقول السياب في قصيدة (في المغرب العربي):

قرأت اسمي على صخرة
كمئذنةٍ تردّد فوقها اسمُ الله
وكان محمدُ نقشاً على آجرّةٍ خضراءَ
يزهو في أعاليها[47].

يوظف السياب اللون الأخضر في سياق ديني، وفقالموروث جرت العادة فيه على كتابة الاسم على حجر توضع عادةً عند رأس الميت (آجرّة)، وقد جعل السياب لونها أخضر تيمناً بالخير، وما استدعاء شخصية محمد – صلى الله عليه وسلم– إلا تكريس لهذا اللون الأخضر الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً به، وليدل أيضاً على الجنة والشهادة من خلال لباس أهل الجنة (السندس الخضر)، وهو ما يمكن أن يدلَّ عليه السياب في معرض حديثه عن تضحيات المغرب العربي في قصيدته هذه. ونجد مثل هذا التوظيف للون الأخضر وارتباطه بالجنة في قول السياب في قصيدة (بور سعيد) إذ يقول:

من أيِّ عبءٍ على روحي ومسمارِ
من أعينٍ في صليب تحت أسواري،
تأتيكِ أشعاري؟
حمراءَ خضراءَ من جُرح ومن غارِ،
خضراءَ من راية، حمراءَ من نار،
خضراءَ كالماء في فردوسكِ الجاري؟[48].

يراوح الشاعر بين اللونين الأحمر والأخضر على أن العلاقة بينهما ماثلة، في دلالة اللون الأحمر على الثورة والقتال والتضحيات والقوة (حمراء)، وهذه الدلالة تفضي إلى نتيجة وهي الراحة والنصر وتحقيق الآمال، لذا جاء توظيفه للون الأخضر في نهاية المقطع الشعري نتيجة للتضحيات والقوة والقتال، وكأنّ السياب يرسم لنا الطريق بلونين: الأحمر والأخضر، وكأنها الحياة أو الموت، فإما الحياة حمراء بالقوة والتضحية وإما الموت بالأخضر، وهو الطريق الموصل إلى الفردوس الأخضر.

دلالات اللون الأبيض

ارتبط اللون الأبيض عند كثير من الناس بدلالات متعددة، منها ما كان يدعو إلى الخير فهو "يبعث على الأمل والتفاؤل والصفاء والتسامح، ويدل على النقاء، كما يبعث على الود والمحبة[49]، ومع هذه الدلالات المرتبطة بالجانب الإيجابي، فهو يوظف في سياقات أخرى ليدل فيها على الموت و"التشاؤم والاقتراب من الخروج من الدنيا، ويرتبط ذلك التشاؤم بلون الشيب[50]، ويوظف السياب اللون الأبيض في غير موطن من شعره بدلالته على الصفاء والمحبة ومن ذلك ما جاء في قصيدة (المومس العمياء):

سيحلّ من ذاك الجبين به ويلحق بالبنين
والساعدين الأبيضين، كما تنوّرُ في السهولْ
تفاحة عذراء، سوف يطوّقان، مع السنين[51].

يوظف السياب اللون الأبيض هنا للدلالة على الخير و"السمة الغالبة لمعنى البياض ارتباطه بالنور والخير، فلون الملائكة أبيض، وكذلك الحور العين، وصفة الأنبياء هي البياض، وصفة من أنعم الله عليهم بالرحمة والجنة وجوههم بيضاء[52]، وهنا نجد أنّ السياب اختار مفرداته بعناية وانسجام مع دلالة اللون هذه، فـ (الجبين، والساعدين الأبيضين، وتنوّرُ) كلها دالة على الخير والعطاء والنور وهو مايكرس هذه الدلالة في هذا النص. في دلالة أخرى لتوظيف اللون الأبيض ما نجده في قصيدة (أغنية في شهر آب) إذ يقول:

وعلى الأكتاف البيض فراءْ
الذئب يدثّر إنسانه،
وعلى الأثداء من النَّمرِ

شرقٌ يتسلّل، ملء الغاب، من الشجرِ
والليل يطول على السمرِ .[53]

فهو يسخر من تلك الطبقية، المتمثلة في استعمال تلك السيدات البيض لفراء الثعالب والذئاب على أكتافهن وتغطيتهن للأثداء والصدور بجلد النمر، ويكشف مثل هذا التوظيف للأبيض عن اقترانه بالعامل الطبقي، الذي يميز البيض عن غيرهم. ووظف السياب اللون الأبيض ليدل على الانتهاء والموت،وذلك لارتباط اللون الأبيض بالشيب" واشتعل الرأس شيبا"[54]، وهو علامة العجز والانتهاء، وهو مرتبط بالكفن الدال على الموت أيضاً، يقول السياب في قصيدة (المسيح بعد الصلب):

أنتَ! أم ذاك ظلي قد ابيضَّ وارفضَّ نورا؟
أنت من عالم الموتى تسعى ! هو الموت مرَّه[55].

لقد شهد السياق الذي وظف الشاعر فيه اللون الأبيض الكثير من الألفاظ والمفردات التي تدل على الموت: (ظلي قد ابيضَّ وارفضَّ، عالم الموت، هو الموت)، وهذه الألفاظ الدالة على الانتهاء والموت تكرس حالة زوال الإنسان،وإذا كانت عودة المسيح هي الأمل بالخلاص والخير، فالسياب في توظيفه للون الأبيض هنا يدل على أن المسيح قد انتهى ومات وهو ما يشيبالتشاؤم من اليوم والغد، لذلك يلقي السياب لومه على الموت الذي يغيّب.

دلالات اللون الأصفر

جاء توظيف السياب للون الأصفر على نطاق محدود، على أن السمة الغالبة في دلالة اللون الأصفر عند السياب قد ارتبطت بالخوف والمرض والتعب والشقاء، ومن ذلك ما قاله السياب في قصيدة (غريب على الخليج):

ما زلتُ أضرب، مُتْرَبَ القدمين أشعثَ، في الدروب
تحت الشموس الأجنبيّه،
متخافت الأطمار، أبسطُ بالسؤال يداً نديّه
صفراء من ذلٍّ وحمّى: ذلّ شحاذٍ غريبْ
بين العيون الأجنبيّه،
بين احتقارٍ وانتهارٍ ، وازورار... أو "خطيّه"،
والموت أهون من خطيّه[56].

إن توظيف اللون الأصفر في هذا المقطع جاء نتيجة للحالة النفسية التي يعيشها السياب في غربته والمليئة بالحزن والمرض والتعب، وحياة الفقر التي عاشها، وكانت مانعاً من عودته لوطنه حتى وصل به الأمر إلى بسط يده في ذل واحتقار، وجعل يده هذه صفراء، وقد "دلت الصفرة على البؤس والتعب والألم[57]، والسياب في هذا المقطع يرسم لنا صورة حزينة لغربته التي عانى فيها الفقر والتعب والمرض، وهو يلاقي النظرات المليئة شفقة بالقهر دون أن يكون قادراً على فعل شيء سوى الاستسلام، وبدل أن تكون يده عنصر قوة وبطش وعمل جعلها السياب مظهر ضعف وقهر وألم ومرض؛ لبيان الحالة التي يعيشها في الغربة، لذا جاءت المفردات في هذا المقطع تحت تأثير التوظيف اللوني/ الأصفر (مترب القدمين، أشعث في الدروب، ذل، حمّى، شحاذ) ولكنها تنسجم معاً في بيان الصورة التي أرادها السياب دالة على التعب والشقاء والبؤس موظفاً اللون الأصفر لتأكيد الصورة وتكريسها و"اللون الأصفر لا يوحي بالراحة والهدوء في غالب دلالاته[58].

إن مثل هذه الدلالة للون الأصفر نجدها في قصيدة (أنشودة المطر)، إذ يقول السياب:

في كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنّة الزهرْ
وكل دمعةٍ من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد[59].

فأمام الواقع المؤلم من ضياع الخيرات وذهابها لغير أهلها، ومعاناة الإنسان من تسلط وعبودية يحاول السياب الانتفاض والتمرد والتخلص من هذا الواقع المؤلم إلى واقع أكثر أملاً، ولا يكون التخلص من هذا الواقع إلا بالتضحيات، وقد نجح السياب في توظيف اللونين الأحمر والأصفر في هذا المقطع ليكونا سبب التخلص ومنارة الثورة، إذ دل اللون الأحمر على الدم والقوة والتضحية، ودل اللون الأصفر العرق الذي يتفصد به جبينْ الإنسان العامل الجاد كناية عن التعب والمشقة، لذا جعل اللونين سبباً في ابتسام طال انتظاره، وسبباً في الميلاد الجديد. ويدل اللون الأصفر على الخوف والمرض والموت، إذ إنّ" الصفرة من حيث العموم تدل على المرض)[60]، كما يرد "اللون الأصفر دالا على علامات الموت والانتهاء"[61]، يقول السياب في قصيدة (المسيح بعد الصلب):

هكذا عدتُ، فاصفرَّ لما رآني يهودا ...
فقد كنتُ سرّه[62].

بعودة المسيح تتكشف أسرار الخيانة التي قدّمها يهوذا الذي خان بدوره المسيح وسلمه لليهود مقابل قطع من فضة [63]، وهذه العودة (للمسيح) لا ترضي (يهوذا)؛ ولذلك وظف السياب اللون الأصفر سمة دالة على يهوذا، الذي تلوّن باللون الأصفر في علامة على الشحوب وتغيّر اللون كدراً بعد صفاء، دليلاً على أنه أسقط في يده وانكشف سره.

ألوان أخرى

وردت بعض الألوان في شعر السياب في موضع أو موضعين أو بضعة مواضع مثل: اللون الأزرق واللون الأسمر، ففي توظيفه للون الأزرق حمل اللون في سياقه دلالات متعددة، يقول السياب في قصيدة (عرس في القرية) مثلاً:

وادّخرنا – على جوع أطفالنا الجائعين –
ما اكتسبناه في كدّنا من نقود،
ما اشتريناه لها خاتماً أو سوار!
خاتم ضمّ في ماسه الأزرقِ
من رفات الضحايا مئات اللحود
اشتراها به الصيرفيُّ الشقي[64].

إنّ السياق الذي ورد فيه اللون الأزرق يعبر عن مدى التعب والشقاء الذي يعانيه السياب، وهو جزء من مجتمع لاقى المعاناة نفسها، وهو واقع مسكون بالفقر والعوز، لذا كان الادخار على قلته آتياًمن التعب (كدنا، وعلى جوع الأطفال الجائعين) فلم تنل نور القروية الريفية شيئاً، إلا ما رمز به السياب في خاتم بماسة زرقاء، وإذا كانت الماسة دالة على الترف فإنها هنا نتيجة لتعب ورفات المئات، ومع ذلك جاء الصيرفيّ ليأخذها عنوة في دلالة على مدى الظلم الذي لحق بها وبهؤلاء الناس.

واتسعت الدلالة اللونية في نفوس أولئك الذين يتعبون، ويدّخرون الخاتم ذي الماسة الزرقاء، ثم يأتي المتسلطون فيأخذونها، ليستمد دلالة جديدة يرمز فيها "اللون الأزرق إلى الحزن والكآبة"[65]، الحزن على مدخراتهم التي تسلب منهم، وهذا ربماأفضى إلى الكراهية والبغض إذ إنّ اللون الأزرق" يفضي إلى الكره والحقد والعداوة"[66].

وفي سياق يحمل الاستبشار يوظف السياب اللون الأزرق بدلالة إيجابية تعني القوة والشدة، يقول في قصيدة (الأسلحة والأطفال):

صدىً رجّعته الأكُفّ الصغارْ
يصفّقن في الشارع المشرقِ
كخفق الفراشات مرّ النهار
عليها بفانوسه الأزرق[67].

يبين النص أثر الصغار وفاعليتهم في المقاومة والتمرد على الظلم والاستعباد، وقد حققوا ما أبهج القلوب وأسعدها، ولذا جاءت الكلمات الدالة على الاستبشار والفرح واضحة (رجّعته، يصفّقن، المشرق، خفق، مرّ النهار)، وهذه الألفاظ معبرة عن الحالة التي يذكرها السياب، وهي النور والفرح، وجاء توظيف اللون هنا ليؤكد تلك الحالة الاستبشارية، ويستمد اللون دلالته من السياق العام للمقطع الشعري، وينسجم مع الرمزية في كلمة الفانوس التي تحقق معنى الاشتعال والحرق، فقد جاءت الزرقة دالة على القوة والاتساع، فهي "تحمل معنى الشدة والقوة، والغضب والثورة"[68]؛ لأن النهار وليس الليل هو الذي مرّ، يحمل الفانوس /الاشتعال / الأزرق، ذي الدلالة على القوة والشدة والاتساع.

أما اللون الأسمر فقد وظفه السياب بدلالة كبيرة، وتكاد تشكل رمزاً للانتماء والأرض، والإنسان العربي على وجه الخصوص، إذ إنّ" معظم العرب اتصفوا باللون الأسمر، فكانت السمرة سمة مميزة لهم عن غيرهم[69]، ومن هذا ما يقوله السياب في قصيدة (مرثية جيكور).

حدّقي حيث شئتِ، يا عين فوكاي المدمّاة، من مداك المديد!
فهي سوق تُباع فيها لحومُالآدميين دون سلخ الجلود:
كل أفريقيا وآسية السمراء، ما بين زنجها والهنود
واشترى لحم كلّ من نطق الضاد تجار تبيعه لليهود ![70]

فآسيا السمراء إشارة إلى آسيا العربية، ومن نطق الضاد، في سياق دال على مدى ضعف العرب وضياعهم أمام الكيان الصهيوني الذي يتاجر بهم . وفي موضع آخر مشابه إلى حد ما يوظف السياب اللون الأسمر بوصفة سمة مميزة للعربي، وإذا ما كانت السمرة سمة للمرأة العربية فقد اكتسبت دلالة جديدة "تميزها عن غيرها من النساء وتصبح سمة للمرأة العربية، ليست سمة لونية شكلية مادية فحسب، بل تصبح سمة معنوية تحمل معنى الطهر والعفة والوفاء والثبات، وهي ما تمثل الأصالة في المرأة العربية"[71]، يقول السياب في قصيدة "المومس العمياء":

مَنْ ضاجع العربية السمراء لا يلقى خسارا
كالقمحلونك يا ابنة العرب،
كالفجر بين عرائش العنب
أو كالفرات على ملامحه
دعة الثرى وضراوة الذهب[72].

فالسياب يجعل السمرة سمة دالة على المرأة العربية الطاهرة العفيفة والوفية، لذا من يضاجعها لا يخسر، وهو يظفر بالاعتزاز والهمة، ولهذا اختار السياب مفردات مقطعه الشعري لتدعم هذا التصور، فهي مفردات دالة على الخير والغنى: (القمح، والثرى، والذهب، وعرائش العنب، والفرات، والفجر)، وهي جميعها تعني الحياة الكريمة. و تكاد تكون السمرة رمزاً عربياً إذ إنّ" المرأة العربية سمراء، والرمل أسمر، والعربي أسمر

إلى غيرذلك من المقومات التي انطبعت في ذهن العربي، سواء كانت تلك المفهومات قديمة أو حديثة"[73].

وتكاد تكون السمرة امتزاجاً بين الإنسان العربي والأرض، فقد" حاول الشعراء الربط بين لون الإنسان العربي والأرض التي ولد عليها وعشقها، فجعل السمرة لوناً للتراب ودالاً على العراقة والأصالة"[74]، وهذا ما أشار إليه السياب في قصيدة (تعبتم):

ويهمس الديجورْ
آهاته السمراء
على محيَّاكِ[75].

وقوله:
سلام على الصين والحاصدين
وصيّاد أسماكها الأسمر،
وما أنبتت من دم الثائرين[76].

وفي كلا المقطعين نجد أن السمرة هي علامة الأصالة والتعب والانتماء للأرض والإنسان الذي أحب تراب الأرض وضحى لأجلها.

الخاتمة

فقد وظف الشاعر الألوان في نصه الشعري /الديوان؛ لما تحمله من قدرة على منح دلالات متعددة، جمالية ونفسية ورمزية وسياسية، وقد كانت الألوان: الأسود والأبيض والأحمر والأخضر والأبيض الأكثر دوراناً وتوظيفاً. استطاعت نقل النص من حدود الدائرة اللونية البسيطة إلى الدائرة اللونية المتعددة والمتنوعة؛ مما وفر للنص الشعري ثراء جمالياً وفنياً.

الهوامش

(1) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، الشعر الأردني نموذجا، ط1، ص13.
(2) طالوا، اللون علما وعملا، ط3، ص5.
(3) حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم، الإعجاز الضوئي–اللوني، ط1، ص29.
(4) صالح، سايكولوجية إدراك اللون والشكل، ص55.
(5) ذياب، جماليات اللون في القصيدة العربية، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد الخامس، العدد الثاني، ص47.
(6) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص18–19.
(7) الشتيوي، رؤى فنية، قراءات في الأدب العباسي، جماليات اللون في شعر بشار بن برد، ط1، ص11، وهو بحث منشور في مجلة أبحاث اليرموك، المجلد18، العدد1.
(8) السياب، ديوان أنشودة المطر، ص328.
(9) عبدالمطلب، شاعرية الألوان عند امرئ القيس، فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد الخامس، العدد الثاني، ص58.
(10) شنوان، اللون في شعر ابن زيدون، منشورات جامعة اليرموك، ص75.
(11) السياب، ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص361 – 362.
(12) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص361.
(13) عمر، اللغة والفن، ط1، وط2، ص229.
(14) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص390.
(15) الزواهرة، ظاهر، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص108.
(16) عمر، اللغة والفن، مرجع سابق، ص223.
(17) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص502.
(18) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص503.
(19) نفسه، ص429.
(20) نفسه، ص488.
(21) الزواهرة، ظاهر، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص101.
(22) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص493.
(23) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص468 – 469.
(24) نفسه، ص522 – 523.
(25) الزواهرة، ظاهر، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص43.
(26) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص435.
(27) الزواهرة، ظاهر، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص44.
(28) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص508.
(29) انظر حموده، نظرية اللون، ص135.
(30) انظر: الدقاق، الألوان والناس، مرجع سابق، ص161.
(31) أنشودة المطر، مصدر سابق، ص436–437.
(32) الخويسكي، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، ط1/1992، ص:113.
(33) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص472– 473.
(34) الزواهرة، التناص في الشعر العربي المعاصر، التناص الديني نموذجا، ط1، ص227، تحت عنوان: (التناص واللون).

(35) الإنجيل، لوقا 16/6.
(36) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص481.
(37) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص585.
(38) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص43.
(39) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص486.
(40) الخوري، معجم الأساطير، ج1، ص201–203.
(41) ديوان أنشودة المطر، ص416.
(42) ديوان أنشودة المطر، ص427.
(43) ذياب، جماليات اللون في القصيدة العربية، مرجع سابق، ص42.
(44) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص403.
(45) انظر: ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص(455، 383، 357).
(46) الدقاق، الألوان والناس، العربي، العدد 302، مرجع سابق، ص161.
(47) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص394– 395.
(48) نفسه، ص501.
(49) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص77.
(50) نفسه، ص77.
(51) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص514.
(52) انظر: الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص78.
(53) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص330.
(54) سورة مريم، آية: 24.
(55) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص459.
(56) نفسه، ص321.
(57) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص117.
(58) نفسه، ص117.
(59) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص479.
(60) الصحناوي، فضاءات اللون في الشعر، الشعر السوري نموذجا، ط1، ص16.
(61) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص119.
(62) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص459.
(63) الإنجيل، لوقا: 6 /16.
(64) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص346.
(65) حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص41.
(66) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص70.
(67) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص565.
(68) انظر: الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص62.
(69) نفسه، ص126.
(70) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص409.
(71) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص127.
(72) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص536.
(73) الصحناوي، فضاءات اللون في الشعر، مرجع سابق، ص199– 200.
(74) الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، مرجع سابق، ص126.
(75) ديوان أنشودة المطر، مصدر سابق، ص335.
(76) نفسه، ص585.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الإنجيل

السياب، بدر، 1989م، ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت.

حمدان، نذير، 1422هـ–2002م، الضوء واللون في القرآن الكريم، الإعجاز الضوئي– اللوني، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

حموده، يحيى، 1981م، نظرية اللون، دون طبعة ودار نشر.

الخوري، لطفي، 1990، معجم الأساطير، ج1، دار الشؤون القانونية العامة، بغداد.

الدقاق، عمر، 1984م، الألوان والناس، العربي، العدد 302، الكويت، يناير، كانون الثاني.

ذياب، محمد حافظ، 1985م، جماليات اللون في القصيدة العربية، فصول مجلة النقد الأدبي، المجلد الخامس، العدد الثاني، يناير، فبراير، مارس.

الزواهرة، ظاهر، 2008م، اللون ودلالاته في الشعر، الشعر الأردني نموذجا، ط1، دار الحامد، عمان.

الزواهرة، ظاهر، 2013م، التناص في الشعر العربي المعاصر، التناص الديني نموذجا، ط1، دار الحامد، عمان.

الشتيوي، صالح، 2005م، رؤى فنية، قراءات في الأدب العباسي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

شنوان، يونس، اللون في الشعر ابن زيدون، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، إربد، الأردن.

صالح، قاسم حسين، 1982م، سايكولوجية إدراك اللون والشكل، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

الصحناوي، هدى، 2003م، فضاءات اللون في الشعر، الشعر

السوري نموذجا، ط1، دار الحصاد، سورية، دمشق.
طالوا، محي الدين، 2000م، اللون علما وعملا، ط3، دار دمشق للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق.
عبدالمطلب، محمد، 1985م، شاعرية الألوان عند امرئ القيس، فصول مجلة النقد الأدبي، المجلد الخامس، العدد الثاني، يناير، فبراير، مارس.
عمر، أحمد مختار، 1982م، اللغة واللون، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة.

Color Symbolism in the Poetry of Bader Shaker Al-Sayyab: "The Rain Song" Collection as an Example

Abd Al-Basit Ziod, Thahir Zawahreh*

ABSTRACT

This study aims at exploring color symbolism in the poetry of Bader Shaker Al-Sayyab by considering the poetry collection "The Rain Song" as an example-since it is the most relevant in this regard among the poet's poems. The study explores different colors like black, red, green, white, and yellow. There are less used colors in the poems of the collection, but we focus on dominant ones. Color has given the poetic texts an artistic dimension and contributed to elevating the typical employment of color to a symbolic use. This, in turn, has given a psychological, intellectual, and cultural depth to the poet's work and enriched the texts at artistic and semantic levels.

Keywords: Color, Bader Shaker Al-Sayyab, The Rain Song.

* Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Hashemite University, Zarqa, Jordan. Received on 27/2/2014 and Accepted for Publication on 28/4/2014.